مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنويّة دوليّة محكّمة،
السنة التاسعة، العدد السابع والعشرون، ربيع وصيف ١٣٩٧هـ. ش/٢٠١٨م
صص ٤٣- ٦٤

الهجاء السياسي في حوليّات السيّد حيدر الحلّي

حيدر زهراب* ومحمود خورسندي** وشاكر العامري[٢]

الملخص:

شهد الأدب العربي ومنذ بداياته في العصر الجاهلي ضرباً من الأغراض الأدبية يسمى الهجاء وهو تقبيح صورة فرد أو فئة أو سلوك خاص بالمبالغة في الذم وذكر المساوئ أو اختلاقها ونسبتها إلى المهجوّ، وقد توسعت وبمرور الزمان دائرة استخدام هذا الفن لتشمل الشعر السياسي مثل ما نجده عند شعراء بني أمية كالأخطل(١٩ – ٩٢هـ) ومسكين الدارمي (... – ٨٩هـ) والأحوص (... – ١٠٥هـ) وكذلك شعراء الشيعة كالكميت بن زيد الأسدي (٦٠ – ١٢٦هـ) أو السيد إسماعيل الحميري (١٠٥ – ١٧٣هـ) أو دعبل الخزاعي (١٤٨ – ٢٤٦هـ) وغيرهم وقد استمر استخدام هذا الفن إلى العصور المتأخرة عند شعراء الشيعة ومنهم السيد حيدر الحلي (١٢٤٦ – ١٣٠٤هـ) صاحب الحوليات الحسينيّة المشتملة على بعض مظاهر الهجاء، فيأتي هذا البحث لرصد أشكال الهجاء السياسي الوارد في هذه الحوليات وكمية انتشار أنواعه فيها، وكشف اللثام عن سبب رغبة الشاعر أكثر في: «الهجاء السياسي عن طريق توظيف القضايا التاريخية» بشكليه المباشر والضمني، بالقياس مع باقي أنماط الهجاء عن طريق دراسة الاحتمالات الواردة بهذا الشأن وذلك من خلال انتهاج المنهج الوصفي التحليلي مستعيناً بالاستقراء التام لأبيات الهجاء في هذه الحوليات. وقد توصّل البحث إلى نتائج أهمها أنّ أنماط الهجاء السياسي في هذه حوليات تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: ١- الهجاء السياسي الفاحش ٢- الهجاء السياسي المقترن بالمدح ٣- الهجاء السياسي بتوظيف القضايا التاريخية (بشكليه: المباشر والضمني)، وقد مال الشاعر إلى استخدام النمط الأخير بشكل أوسع في حولياته لاشتماله على وظيفة حِجاجيّة تساعد في إقناع المخاطب أنّ المهجو يستحق الذمّ حقيقةً، ولكونه أكثر انسجاماً مع مفهوم الالتزام الديني واتصافه بعنصر الصدق عند المخاطب العام.

كلمات مفتاحية: حوليّات السيّد حيدر الحلّي، الهجاء، الهجاء السياسي، الأدب الشيعي.

---

* – طالب الدكتوراة في فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، إيران. (الكاتب المسؤول) HaydarZohrab@semnan.ac.ir

** – أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، إيران. khorsandi@semnan.ac.ir

٢ – أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، إيران. sh.ameri@semnan.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٣٩٥/٠٥/٢٣هـ.ش= ٢٠١٦/٠٨/١٣م تاريخ القبول: ١٣٩٦/١٠/١٢ هـ.ش= ٢٠١٨/٠١/٠٢م

المقدمة:

كان الهجاء من الأغراض الأدبية المنتشرة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، حيث كانت الحروب والتنافرات بين القبائل والشخصيات والعصبية الشديدة المنتشرة في المجتمع الجاهلي تُهيئ الأرضيّة المناسبة للجوء إلى هذا الفن لغرض الانتقاص والانتقام من العدو أو التحريض ضدّه، إلى أن ظهر الإسلام فتحولت أسباب الحروب والمنافرات في غالبيتها إلى أسباب عقائدية بين معسكر الكفر ومعسكر الإسلام، ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومضي فترة صدر الإسلام وظهور الأحزاب السياسية انتشرت دائرة استخدام هذا الفن بشكل أوسع ولم يقتصر على المناقضات الفردية أو القبلية السائدة يومذاك كنقائض جرير (٣٣ – ١١٠هـ) والأخطل (١٩ – ٩٢هـ)، بل أصبح لكل طائفة من الطوائف السياسية شعراء يمثّلونهم ويهجون أعدائهم ولم يكن الحزب العلوي بمعزل عن هذا الأمر فقد اشتهر من بينهم شعراء مُجيدون كالكميت بن زيد الأسدي (٦٠ – ١٢٦هـ) والسيد إسماعيل الحميري (١٠٥ – ١٧٣هـ) ودعبل الخزاعي (١٤٨ – ٢٤٦هـ) وآخرون ممن عاشوا في العصور المتقدمة وامتدت هذه السلسلة إلى العصور المتأخرة وتوسع نطاقها، ثم بما أنّ لواقعة الطّف ومقتل الإمام الحسين عليه السلام الوقْع الكبير في نفوس هؤلاء الشعراء، توجّه الكثير منهم إلى هجاء بني أمية ومن كان في خطّهم في ثنايا قصائدهم، وكان من بينهم السيد حيدر الحلي (١٢٤٦ – ١٣٠٤هـ) صاحب الحوليات الحسينية المشتملة على بعض مظاهر الهجاء. جمع الشاعر في هذه القصائد بين قوة الرثاء وشدّة العاطفة وصدقها وحسن التطرّق إلى الرثاء الممزوج بالحماس، إلا أنّه استطاع أيضاً أن يتفنّن في كيفية التعرّض للهجاء السياسي كغرض شعري مهم ومن هنا تظهر **ضرورة البحث وأهميته** في معرفة الأساليب التي انتهجها الشاعر في هجائه ودراسة ما يمكن أن يقال في تفسير ميل الشاعر إلى نمط خاص من الهجاء السياسي **بهدف** الوصول إلى صورة واضحة حول الهجاء في هذه الحوليات بأشكاله المختلفة ومستويات انتشاره المتعددة مما يساهم في معرفة بعض سمات هذه الحوليات بشكل أدقّ.

أسئلة البحث

١- ما هي أنماط وأساليب ومضامين الهجاء السياسي في حوليات السيد حيدر الحلي؟

٢- ما سبب رغبة الشاعر في الإكثار من بعض أنماط الهجاء السياسي بالقياس مع البعض الآخر؟ وما هي الاحتمالات الواردة بهذا الشأن؟ وأيّها أرجح؟

منهج البحث

يتّبع هذا البحث **المنهج الوصفي التحليلي، مستعيناً بالاستقراء التام لأبيات الهجاء في حوليات الشاعر** في توضيح مختلف أنماط الهجاء السياسي فيها مع ذكر بعض النماذج لها والإشارة إلى الأساليب البلاغية المستعملة في كل نمط من أنماطه مع تقديم إحصائية دقيقة لمستوى انتشار أبيات الهجاء بمختلف أنماطه في هذه الحوليات، ثم يدرس الاحتمالات الواردة في تفسير سبب ميل الشاعر إلى نمط خاص من الهجاء السياسي.

سابقة البحث

درس الباحثون الهجاءَ بشكل عام كغرض شعري منتشر في الشعر العربي في دراسات متعددة منها: «**فن الهجاء وتطوره عند العرب**» لـ: (إيليا حاوي، ط ١، بيروت لبنان: دار الثقافة، ١٩٩٨م.) حيث تناول الكاتب دراسة هذا الفن منذ العصر الجاهلي إلى العصر العباسي وسلّط الضوء على المظاهر المختلفة للهجاء من خلال التركيز على شعر بعض مشاهير الشعراء وذكر الخصائص العامة للهجاء في شعرهم، إلا أنّ البحوث التي تناولت دراسة الهجاء في الشعر السياسي الشيعي بشكل خاص قليلة نسبياً، ويمكن هنا الإشارة إلى كتاب بعنوان: «**دراسات في الهجاء السياسي عند شعراء الشيعة (دعبل الخزاعي، السيد الحميري، ديك الجن)**» لـ: (عبد الغني إيرواني زادة، وجمال طالبي، ط ١، قم إيران: مجمع ذخائر إسلامي، ١٣٩٣ هـ ش.) حيث نجد فيه دراسة الهجاء السياسي عند الشعراء الثلاثة، مع موجز عما يرتبط بحياتهم وعقائدهم وأوصافهم، كذلك ينبغي الإشارة إلى بحث نُشر في موقع مجلة الواحة بعنوان: «**النزعة الهجائية عند دعبل الخزاعي**» لـ: (محمد الخباز، ٢٠١٦/٦/٢٠م = ١٣٩٥/٣/٣١هـ ش، alwahamag.com) فقد ذكر الكاتب فى ثنايا بحثه بعض ما له صلة بسمات الهجاء في قصائد دعبل الاعتقادية، ولم نجد بعد الفحص بحثاً تناول موضوع الهجاء في حوليات السيد حيدر الحلي بشكل خاص، إلا أنّ هناك مقالة بعنوان: «**ديوان السيد حيدر الحلي أغراضه وفنونه**» لـ: (فارس عزيز مسلم، مجلة مركز بابل، العدد ١، حزيران عام ٢٠١١م، صص ٤٣-٦٦.) يتطرق الكاتب فيها للهجاء في باقي

أشعار السيد حيدر الحلي ما عدى الحوليات في حدود نصف صفحه ولا يتطرق إطلاقاً إلى الهجاء في حولياته.

نوع الهجاء في الحوليات

صنّف الباحثون في الأدب العربي، الهجاءَ إلى أنواع شتّى وذلك تارة بلحاظ هدف الشاعر من الهجاء وتارة بلحاظ موضوعاته، فقد قسّمه محمد سامي الدهان إلى: **الهجاء الشخصي، والهجاء الأخلاقي، والهجاء السياسي، والهجاء الديني، والهجاء الاجتماعي**[١]. ثم ذكر لكل من هذه الطوائف أنواعاً أخرى مما تدخل تحت هذه العناوين الرئيسة، أما الهجاء الوارد في حوليات السيد حيدر الحلي فهو من قسم الهجاء السياسي نظراً للمضامين المطروقة فيها والتي تدور حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام ضد الحكم الأموي، فقد وجّه الشاعر معظم هجائه نحو آل أبي سفيان وبني أمية ككيان سياسي معروفة المعالم في تاريخ الإسلام، كما وجّه انتقاصات نحو مناوئي أهل البيت عليهم السلام بشكل عام.

أقسام الهجاء السياسي ونسبة انتشارها في الحوليات

يتشكّل مجموع أبيات حوليات السيد حيدر الحلي من **١٠٩٦** بيت، موزّعٍ على عشرين قصيدة، **خلت ستةٌ**[٢] منها من الهجاء، ثم في باقي القصائد يتراوح عدد الأبيات الهجائية بين بيتين إلى أكثر من عشرين بيتاً، وهي غالباً تأتي في أثناء القصيدة، ما عدى قصيدة واحدة وهي دالية[٣] استهلها الشاعر بهجاء بني أميّة واستمر في الهجاء إلى البيت ٢١[٤]. قد تبيّن بعد إحصاء الأبيات الهجائية أنّ مجموعها يساوي **٩٥** بيتاً موزعاً على **١٤** قصيدة[٥]، كما تبيّن أنّ الشاعر سلك مسالك متنوعة للتطرق إلى الهجاء يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنماط هي:

---

[١] راجع: محمد سامي الدهان، **الهجاء**، صص ١٢ و٢٥ و٤٢ و٥٧ و٦٩ و٧٧.

[٢] وهي القصيدة ٣ و٥ و٩ و١٣ و١٥ و١٦ في قسم "مراثي آل البيت" من ديوان السيد حيدر الحلي. راجع: علي الخاقاني، **ديوان السيد حيدر الحلي**، ج ١، صص ٦٢ و٦٥ و٧٨ و٨٥ و٩٢ و٩٥.

[٣] راجع: **نفس المصدر**، صص ٧٠-٧٢.

[٤] هناك قصيدة أخرى أيضاً نجد في البيتين الأولين منها عبارتين تشتملان على الهجاء ولكنهما يجمعان بين الهجاء وأغراض أخرى. راجع: **نفس المصدر**، ص ٨٠.

[٥] توجد القصائد كاملة في قسم «مراثي آل البيت عليهم السلام» في: **نفس المصدر**، صص ٥٠-١١٦.

١. الهجاء السياسي الفاحش

هو هجاءٌ يشتمل على ذكر أمور قبيحة وبعيدة عن الحياء مع المبالغة في الذم أو اختلاق المثالب للمهجو على غرار ما نجده في شعر الهجّائين المعروفين في الأدب العربي خصوصاً ما شاع عند شعراء بني أمية كالأخطل في هجائه للأنصار أو لعُدانة[١] على سبيل المثال، فقد اعتمد السيد حيدر الحلي في بعض حولياته على ذكر أمورٍ كثيراً ما نراها في هذا النمط من الهجاء، **كالطعن في الحسب والنسب وطهارة المولد ونسبة الفحشاء إلى نساء بني أمية ووصفهم بالبخل والذلة والحقارة والفجور وقلة الحياء و...**، يقول في داليته التي استهلها بهجاء بني أمية:

أُميَّةُ غُورِي فِي الخُمُولِ وأنْجِدِي ... فَمَا لَكِ فِي العَلْيَاءِ فَوْزَةُ مَشْهَدِ
هُبُوطاً إلى أحْسَابِكُمْ وَانْخِفَاضِهَا ... فَلَا نَسَبٌ زَاكٍ وَلَا طِيْبُ مَوْلِدَ
تَطَاوَلتُمُ لا عَنْ عُلاً فَتَرَاجَعُوا ... إلى حَيْثُ أنْتُم وَاقْعُدُوا شَرَّ مَقْعَدِ
قَدِيْمُكُمُ مَا قَدْ عَلِمْتُم وَمِثْلُهُ ... حَدِيْثُكُمُ في خِزْيِهِ المُتَجَدِّدِ
فَمَاذَا الذي أحْسَابُكُمْ شَرُفَتْ بِهِ ... فَأَصْعَدَكُمْ في المُلْكِ أشْرَفَ مَصْعَدِ
صَلَابَةُ أعْلَاكِ الذي بَلَلُ الحَيَا ... بِهِ جَفَّ أمْ فِي لِيْنِ أسْفَلِكِ النَّدِيّ
بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ لا سَقَى اللهُ حُفْرَةً ... تَضُمُّكِ وَالفَحْشَاءَ فِي شَرِّ مَلْحَدِ

إلى قوله:

يُرَشَّحُ لَكِنْ لا لِشَيءٍ سِوَى الخَنَا ... وَلِيدُكُمُ فِيمَا يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
وَتَتْرَفُ لَكِنْ لِلبِغَاءِ نِسَاؤُكُمْ ... فَيَدْنَسُ مِنْهَا فِي الدُّجَى كُلُّ مَرْقَدِ
ويُسْقَى بِماءٍ حَرْثُكُمْ غَيْرِ وَاحِدٍ ... فَكَيْفَ لَكُمْ تُرْجَى طَهَارَةُ مَوْلِدِ[٢]

---

[١] راجع هجاءه للأنصار في: صنعة السّكّري، **شعر الأخطل** (تحقيق فخر الدين قباوة)، ص ٣٢٧. وهجاءه لعُدانة في: **نفس المصدر**، ص ١٥٥ و١٥٦.

[٢] علي الخاقاني، **ديوان السيد حيدر الحلي**، ج ١، صص ٧٠ و٧١. **غوري في الخمول وأنجدي**: تقلّبي في الضعف والخمول./ **تطاولتم**: تكبّرتم واعتديتم./ **قديمكم**: يقصد الآباء والأجداد/ **حديثكم**: يقصد الأبناء والأولاد/ **حرثكم**: يقصد نساء بني أمية.

الملاحظ في هذه الأبيات شدة التقارب بينها وبين الهجاء السياسي الفاحش المعروف عند العرب من **حيث المبالغة في التحقير وتعميم الأوصاف الذميمة** فقد رمى بني أمية بخمول الذكر وبُعدهم عن المكرمات، وهبوط الأحساب وحقارة النسب وخبث المولد، وبالتطاول لما لا يستحقون، وأنّ هذه أمور لاصقة بهم قد شاب عليها سَلَفُهم وشبّ عليها خَلَفُهم ثم وصمهم بالفحشاء ووصف نساءهم بالبغاء، وهذا **التعميم والمبالغة** من السمات الشائعة في هذا النمط من الهجاء في الأدب العربي.

يميل أسلوب الشاعر البلاغي في هذا النمط إضافة إلى موضوع المبالغة في الذم نحو الإكثار من استخدام **الطباق والمقابلة**، واستخدام شتى أنواع الجمل من إنشاء (أمر ودعاء) وخبر لغرض التقبيح والسخرية، كناية لغرض الذمّ، كما يعمد إلى **الاقتباس** من بعض مفردات القرآن الكريم لتوظيفها في مجال الهجاء الفاحش كاستخدامه لمفردة "**الحرث**" في البيت الأخير من المقطع الذي أوردناه للتعبير عن "**النساء**" مقتبساً ذلك من قوله تعالى: ﴿نساؤكُم حَرْثٌ لكم فأتوا حَرثَكم أنّى شِئتم...﴾[١]. **موضوعات** هجاء السيد حيدر الحلي في هذا النمط قريبة جداً مما نجده في مصاديق الهجاء الفاحش في الأدب العربي وقد وجّه هذا النمط من الهجاء نحو بني أمية. لا يشكّل هذا النمط الغالبية الكبرى في الهجاء الوارد في الحوليات حيث لا يتجاوز عدد أبياته **٢٧** بيتاً مفرّقاً في **٦** قصائد، مقارنة بمجموع أبيات الهجاء فيها وهو **٩٥**، مما يدل على عدم رغبة الشاعر في استخدام هذا النمط من الهجاء بشكل واسع.

٢. الهجاء السياسي المقترن بالمدح

من أقسام الهجاء السياسي الوارد **بشكل محدود** في الحوليات، هو ما يأتي بنية تشديد حالة الوضوح والتباين (أو ما يعبر عنها في الإنكليزية بـ: Contrast)[٢] بين محامد الممدوح ومثالب المهجو، بهدف المبالغة في تحقير المهجو وتعظيم الممدوح في عين المخاطب، وذلك عن طريق **الجمع في البيت الواحد**

---

[١] البقرة: ٢٢٣.

[٢] التباين أو ما يعادله بالإنجليزية: "Contrast" هو الاختلاف البيّن بين أمرين محسوسين مما يساعد على تميز أحدهما عن الآخر كالفرق بين اللون الأسود والأبيض وتشتد درجة التباين بينهما إذا يُنظر إليهما معاً. راجع معنى الكلمة في:

Angela Crawley**, Oxford Elementary Learner`s Dictionary**; P. 72.

بين ما يشير إلى صفة ذميمة من صفات المهجوّ وصفة حميدة من صفات الممدوح كقوله في مستهل إحدى قصائده[١]:

نَعَى الرُّوحُ جِبْرِيلٌ بِأَنَّ **ذَوِي الغَدْرِ** أَرَاقُوا دَمَ **المُوفِيْنَ لِلّهِ بِالنَّذْرِ**
نَعَى وَانْقِلَابُ الكَوْنِ فِي ضِمْنِ نَعْيِهِ بِأَنَّ **ذَوِي الحَجْرِ** اسْتَبَاحُوا **ذَوِي الحِجْرِ**

وفي أولى حولياته حسب ترتيب الديوان:

يَلْقَى **ابْنُ مُنْتَجَعِ الصَّلَاحِ** كَتَائِباً عَقَدَ **ابْنُ مُنْتَجَعِ السِّفَاحِ** لِوَاءَهَا

فالشاعر جمع في **البيت الأول** بين الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾[٢] في مقام مدح الممدوح ليجعله من أهل **الوفاء** ومن مصاديق هذه الآية، وذكر **في نفس البيت** ما يشير إلى ما يخالف هذه الخصلة الحميدة وهو **الغدر** عند المهجوّ. كما أنّه في **البيت الثاني** استخدم الجناس المحرَّف[٣] بين كلمتي (**الحَجْر والحِجْر**) للجمع في البيت الواحد بين مايشير إلى مدح الممدوح وهجو المهجوّ؛ فالأولى تعني في الشرع "**المنع من التصرُّف لصِغَر أو سَفَهٍ أو جنون**"، فيما تعني الثانية "**العقل**"[٤]. كذلك يجمع في **البيت الثالث** بين مدح الممدوح وهجو المهجوّ حيث يشير في الشطر الأول إلى أصل الإمام الحسين عليه السلام الطاهر، فهو ابن علي وفاطمة سلام الله عليهما، ويقارن ذلك في الشطر الثاني بأصل عبيد الله بن زياد بن سميّة، «حيث وُصفت بأنها كانت امرأة بغي يتداولها الرجال»[٥] وكما اشتهر أبوه بـ: "زياد بن أبيه" لغموض في نسبه[٦].

---

[١] توجد الأبيات حسب ترتيب ذكرها في: علي الخاقاني، **ديوان السيد حيدر الحلي**، ج ١، صص ٨٠ –٨٠ و٥٢.

[٢] الإنسان: ٧.

[٣] هو نوع من الجناس غير التام يختلف فيه الركنان في الحركات فقط. انظر: إميل يعقوب وآخران، **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، ص١٧٥.

[٤] «الحِجْرُ، بالكسر: العقل واللب لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتمييز...» محمد ابن مكرَّم (ابن منظور)، **لسان العرب**، ج ٣، ص٥٩.

[٥] صالح محمد الرواضية، **زياد بن أبيه ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام**، ص٣٦.

[٦] راجع ماكتبه صالح محمد الرواضية حول نسب زياد ابن أبيه في: **نفس المصدر**، صص ٣٢– ٣٧.

أسلوب الشاعر البلاغي في هذا النمط يميل بشكل ملحوظ نحو صنعة "**الطباق**" وهو الجمع بين لفظين مقابلين في المعنى[١]، فهو يجمع في البيت الواحد بين صفة ذميمة من صفات المهجو وبين صفة حميدة من صفات الممدوح مما تقابل تلك الصفة الذميمة. أمّا من حيث **المضمون** فهو لا يأتي بشئ جديد زائد عما هو معرف في صنعة الهجاء، ففي الأمثلة المذكورة تطرق الشاعر إلى توجيه صفات ذميمة كالغدر والسَّفه والفحشاء وما شابه ذلك نحو بني أمية ولكن **باختصار شديد** في بيت شعري واحد إلى جانب ذكر صفات حميدة نسبها إلى الممدوحين، وفي الواقع ما يميّز هذا النمط عن باقي الأنماط هو **الجمع بين الهجاء والمدح في بيت واحد** وليس هذا بطريقة جديدة في شعر العرب بل هناك أمثلة متعددة لها كقول دعبل الخزاعي عندما استخدم هذا الأسلوب مرتين في بيتين متواليين في مدح الإمام الرضا عليه السلام وهجاء هارون العباسي، يقول:

قَبْرَانِ فِي طُوسَ **خَيْرُ النَّاسِ** كُلِّهِمُ وَقَبرُ **شَرِّهِمُ** هَذَا مِن العِبَرِ
مَا يَنْفَعُ **الرِّجْسُ** مِن قُرْبِ **الزَّكِيِّ** وَلَا عَلى **الزَّكِيِّ** بِقُرْبِ **الرِّجْسِ** مِن ضَرَرِ[٢]

كذلك نجد ما يشبه هذا النمط من الهجاء في شعر أبي فراس الحمداني (٣٢١ – ٣٥٧هـ) أيضاً[٣]. استخدم السيد حيدر الحلي هذا النمط في **١٤** بيتاً من حولياته منتشراً في **٧** قصائد منها فقط، مما يؤيد قلة استخدامه في الحوليات بالقياس مع مجموع أبيات الهجاء فيها وهو **٩٥** كما مرّ.

٣. الهجاء السياسي الضمني والمباشر بتوظيف القضايا التاريخية

لا شك أنّ ذكر الحوادث التاريخية وتوظيفها كان ولا يزال جوهر كثير من الأغراض الشعرية في الأدب العربي، فالأدباء كثيراً ما يلجأون إلى تتبع الأمور التاريخية لتوفير مادة للمدح أو الرثاء أو الهجاء أو غيرها من الأغراض في قصائدهم، ولكن إذا مزج الشاعر في مقام الهجاء هذه الحوادث التاريخية بشيء من المبالغة أو خلط بين الصحيح والسقيم من المعلومات التاريخية التي يستقي منها صفات رذيلة للمهجو،

[١] راجع: أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة**، ص ٣٦٦.

[٢] حسن حمد، **ديوان دعبل بن علي الخزاعي**، ص ٧٧.

[٣] راجع على سبيل المثال البيت ٥٣ إلي ٥٦ من قصيدته الميمية المشهورة التي دافع فيها عن أهل البيت عليهم السلام وانتقد العباسيين في: خليل الدويهي، **ديوان أبي فراس الحمداني**، ص ٣٠٤.

عند ذلك يقترب هجاؤه من الهجاء السياسي الفاحش الذي تحدثنا عنه سابقاً، إلا أنّ من الظواهر الملفتة للنظر في كثير من أبيات الهجاء السياسي في حوليات السيد حيدر الحلي هو رغبته في تتبّع القضايا التاريخية والتركيز عليها وذكرها **كما هي من دون مبالغة أو مجازفة أو الخلط بينها وبين الأخبار غير المشهورة وذِكرها مكرراً في قصائد متعددة بغرض الهجاء،** وبهذا يبتعد في كثير من الأحيان عن الهجاء السياسي الفاحش الذي يحتوي عادةً على المبالغة أو الكذب وتلفيق التّهم. يأتي هذا النمط من الهجاء في الحوليات تارةً **بطريقة مباشرة،** حيث يخصّص الشاعر مقطعاً شعرياً من قصيدته للهجاء بتوظيف القضايا التاريخية **فيكون الهجاء فيه هو الغرض الأساس،** وتارةً **بالإشارة الضمنيّة** إلى معلومة تاريخية بألفاظ معدودة **ضمن مقطع شعري يكون الغرض الأصلي فيه غير الهجاء ولكن يتضمّن الهجاء كغرض فرعي ثانوي،** ما يمكن تسميته **بالهجاء الضمني،** وقد سبق أن استعمل محمد فاروق سعيد محمد هذه التسمية عند الحديث عن أنواع الهجاء السياسي[١] والمقصود منه هو صياغة الأبيات التي تصاغ لغرضٍ غير غرض الهجاء، على شكل يؤدّي إلى تقبيح صورة شخص أو فئة لدى المخاطب **كغرض ثانوي** وفي ما يأتي نتعرض إلى كلا القسمين:

أ. الهجاء السياسي الضمني بتوظيف القضايا التاريخية

هناك طائفة من المقاطع الشعرية في هذه الحوليات يكون الغرض الأول فيها التفجّع، أو ذكر المصائب، أو الاستنهاض، أو الرثاء، على سبيل المثال، **إلا أنّ الشاعر يمزج الأبيات بعبارات موجزة تجعل من الهجاء والذم غرضاً ثانوياً لتلك الأبيات،** وفي هذا الشكل من الهجاء كثيراً ما يلجأ إلى **ذكر جرائم المهجوّ والفجائع التي قام بها، مما ذكر في الكتب التاريخية المعروفة،** ويحاول بهذه الطريقة **أن يُثير لدى المخاطب حالة العطف والترحّم تجاه المرَثيّ، وحالة الغضب والاستنكار تجاه المهجوّ في وقت واحد،** كقوله:

وَلْتَغْدُ حَائِمَةُ الرَّجَاءِ طَرِيْدَةً لا سَجْلَ يُنقِعُ بَرْدُهُ أحْشَاءَهَا

[١] راجع موقع: "اتحاد مكتبات الجامعات المصرية" على شبكة الانترنت: (http://srv4.eulc.edu.eg)، قسم الرسائل: محمد فاروق سعيد محمد، **الهجاء في التراث العربي وعبرية العهد القديم**، أطروحة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ٢٠١٤م. (قسم المستخلص).

فَحَشَا ابْنِ فَاطِمَةٍ بِعَرْصَةِ كَرْبَلَا ... بَرَدَتْ غَلِيْلاً وَهْوَ كَانَ رُوَاءَهَا
ولْتُطْبِق الخَضْرَاءُ في أفْلَاكِهَا ... حَتَّى تَصُكَّ عَلَى الوَرَى غَبْرَاءَهَا
فَوَدِيْعَةُ الرَّحْمَنِ بَيْنَ عِبَادِهِ ... **قَدْ أوْدَعَتْهُ أُمَيَّةٌ رَمْضَاءَهَا**
صَرَعَتْهُ عَطْشَانَاً **صَرِيْعَةُ كَأْسِهَا** ... بتَنُوفَةٍ سَدَّتْ عَلَيْهِ فَضَاءَهَا
فَكَسَتْهُ مَسْلُوبَ المَطَارِفِ نَقْعَهَا ... **وَسَقَتْهُ ظَمْآنَ الحَشَا سَمْرَاءَهَا**

إلى قوله:

مَا حَالُ صَائِمَةِ الجَوَانِحِ أفْطَرَتْ ... بِدَمٍ وَهَلْ تُرْوِي الدِّمَا إظْمَاءَهَا
مَا حَالُ عَافِرَةِ الجُسُومِ عَلَى الثَّرَى ... **نَهَبَتْ سُيوفُ أُمَيَّةٍ أعْضَاءَهَا**[1]

الشاعر في هذه الأبيات في مقام إظهار الحزن والجزع لبعض ما جرى من مصائب على الإمام الحسين عليه السلام، يقول: (أرجو أن لا يجد العطاشى المجتمعون حول موضع الماء، ماءً ليشربوه ويتفرقوا عطاشى من دون أن يجدوا ماءً ليبرّدوا به أحشاءهم، مواساةً للإمام الحسين عليه السلام الذي قضى عاطشاً ووجد برد الغليل، وهو العطش الشديد، بدل برد الماء، وينبغي لكواكب السماء أن تقع على الأرض ليهلك الناس جميعاً لعظمة هذا المصاب، فإنّ وديعة الله بين عباده وهو الإمام الحسين عليه السلام قد قتله بنو أمية وتركوا جسده الشريف على الرمضاء، قُتل الحسين وهو عطشان وقتله أناس لطالما شربوا الخمر وسكروا ووقعوا على الأرض من شدة سكرهم، ولم يكفّنوه إلا بغبار الصحراء ورمالها وأصابوه بطعن الرماح بدل أن يعطوه شيئاً من الماء،... ما حال ذاك العطشان الذي أفطر بدمه؟ وهل الدم يبرّد عطش العاطش؟ ما حال ذاك الشخص المقطّع بالسيوف والمعفّر بالتراب الذي نهبتْ سيوف بني أمية أعضاءَه). ففي هذه الأبيات **وإن كان الغرض الأساس هو رثاء الإمام الحسين عليه السلام** والتفجّع لمصيبته وتعظيمها في عين المخاطب، إلا أنّ الشاعر في نفس الوقت يثير حالة غضب واستنكار المخاطب تجاه بني أمية عن طريق التصريح بأنّ هذه المصيبة إنما وقعت على أيديهم، وفي الواقع نجد في هذا الشكل من الهجاء توظيفاً ثانياً له وهو **إثارة غضب المخاطب تجاه المهجوّ** إلى جنب التوظيف المتعارف للهجاء وهو التحقير والذمّ، كما يشير في البيت الخامس إلى استهانة بني أمية بأحكام الشريعة ويرميهم بشرب

[1] علي الخاقاني، **ديوان السيد حيدر الحلي**، ج ١، صص ٥٢ و٥٤. **الحائمة**: المجتمعة /**طريدة**: مأيوسة، هاربة /**السَّجْل**: الدلو العظيمة /**الغبراء**: الأرض /**الرمضاء**: الأرض الحامية من شدّة حرّ الشمس / **التنوفة**: البرية التي لا ماء فيها ولا أنيس / **السَّمراء**: الرمح.

الخمور كمعلومة تاريخية ورد ذكرها في كتب التاريخ والسير[١]. كذلك يلجأ الشاعر أحياناً إلى هذا الأسلوب ولكن لا بنية إثارة الغضب، **بل بهدف التوظيف العادي للهجاء** وهو الذم والتحقير، على سبيل المثال نراه يشير في أكثر من قصيدة بشكل ضمني إلى موضوع **مَنِّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أهل مكة عند فتحها** وتسميتهم بـ: "**الطُّلقاء**" كمعلومة تاريخية مؤكدة[٢]، يقول في إحدى قصائده:

إذْ أَلْقَحَ **ابْنُ طَلِيقِ أحْمَدَ** فِتْنَةً وَلَدَتْ قُلُوبُهُمُ بِهَا شَحْنَاءَهَا[٣]

ويقول في قصيدة أخرى:

وَمِمَّا يُزِيلُ القَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَيَتْرُكُ زَنْدَ الغَيْظِ فِي الصَّدْرِ وَارِيَا
وُقُوفُ بَنَاتِ الوَحْيِ عِنْدَ **طَلِيقِهَا** بِحَالٍ بِهَا يُشْجِينَ حَتَّى الأعَادِيَا[٤]

فهو يصف في **البيت الأول** يزيد بن معاوية بأنّه: "**ابن طليق أحمد**" حيث إنّه حفيد أبي سفيان وهو من جملة الطلقاء يوم فتح مكة، ويقول بأنّ يزيد هو الذي أثار فتنة عظيمة (قُتل بسببها الحسين عليه السلام) الفتنة التي هيّجتْ الأحقاد والضغائن في قلوب المنافقين تجاه عترة رسول الله صلى الله عليه وآله. كما يتحدث في **البيتين الثاني والثالث** عن مصيبة وقوف عائلة الحسين عليه السلام وبناته أسارى بين يدي يزيد بن معاوية ويعبّر عن يزيد هنا أيضاً بـ: "**طليقها**" أي هو طليق جدّ هؤلاء البنات الواقفات بين يديه. لمّا نراجع الأبيات السابقة واللاحقة للمثال الأول نجد أنّ الغرض الأساس لذلك المقطع الشعري هو الرثاء الحماسي ولكن أشار الشاعر إلى هذه المعلومة التاريخية **بقصد الهجاء الضمني**.كما أنّ الغرض الأساس في القطعة الشعرية التي استخرجنا منها المثال الثاني هو الرثاء وإظهار الحزن.

---

[١] صرّح الذهبي (٦٧٣ – ٧٤٨هـ) في كتابه: «**سير أعلام النبلاء**» أنّ يزيد بن معاوية كان يتناول المسكر ويفعل المنكر وهو الذي أقدم على قتل الإمام الحسين عليه السلام كما يصفه بالنصب والغلاظة والجلافة. راجع: محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٤، صص ٣٧ و٣٨.

[٢] روى ابن الأثير: «لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة... ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أنّي فاعل بكم: قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخٍ كريم. قال: **اذهبوا فأنتم الطلقاء**، فعفا عنهم، وكان الله قد أمكنه منهم وكانوا له فيئاً، **فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء**.» علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير)، **الكامل في التاريخ**، ج ٢، ص ٢٥٢.

[٣] علي الخاقاني، **ديوان السيد حيدر الحلي**، ج ١، ص ٥٢.

[٤] **المصدر نفسه**، ص ١١٥.

أسلوب الشاعر البلاغي في هذا النمط يقترب من **فن الاستطراد** حيث يُضَمِّن الكلامَ معلومةً تاريخيةً بغرض الهجاء في أثناء غرض آخر. والاستطراد كما عرّفه البلاغيون هو: «أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول»[١] وهذا الانتقال بين الأغراض يسبّب حالةً من التموّج المعنوي وحركةً ملموسةً بين المعاني لدى السامع وبالتالي يجعل الشعر أكثر تأثيراً وأكبر بهجة عنده، بخالف لو استمر الشاعر في غرض واحد في أبيات متتالية، فذلك ربما يسبّب الملل والضَّجر لدى المخاطب خصوصاً في بعض الأغراض الشعرية التي من شأنها الشعور بالحزن والكآبة كالرثاء. لا يختص استخدام هذا النمط بشعر السيد حيدر الحلي بل يمكن رصد نماذج متعددة له في شعر بعض معاصريه كصالح الكواز الحلّي (١٢٣٣- ١٢٩٠هـ) في بعض قصائده الحسينية[٢] أو الشعراء الذين سبقوه كابن هاني الأندلسي (٣٢٦ – ٣٦٢هـ) في مدحه لمعزّ الدين الفاطمي (٣١٩ – ٣٦٥هـ)[٣] أو ابن الرّومي (٢٢١ – ٢٨٣هـ) في رثاء يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام[٤] أو دعبل الخزاعي في قصيدة يمدح بها الإمام علي عليه السلام وابنه الإمام الحسين عليهما السلام[٥]. الملاحظ في مصاديق هذا النمط من الهجاء أنّ **وجه الاشتراك** بينها هو خروج الشاعر من الغرض الأصلي للشعر والدخول في غرض ثانوي هو الهجاء الضمني بتوظيف القضايا

---

[١] راجع: أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة**، ص ٣٦٥.

[٢] راجع البيت الثلاثين في القصيدة الرثائية الأولى في ديوانه في: محمد علي اليعقوبي، **ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي**، ص ١٨. (استخدم في البيت الثلاثين موضوع **"الطلقاء"** كمعلومة تاريخة بغرض الهجاء الضمني.)

[٣] استخدم هذا النمط من الهجاء في ثنايا إحدى أشهر قصائده التي يمدح بها المعزّ لدين الله الفاطمي (٣١٩ – ٣٦٥هـ) ويُهنّئه بشهر رمضان. راجع البيت ٩٢ من قصيدته الأولى في: زاهد علي، **تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي**، ص ٣٥. (استخدم لفظة **"الطلقاء"** في نهاية البيت ٩٢ للهجاء الضمني لبني العبّاس حيث أُسِر جدُّهم العبّاسُ بن عبد المطلب في غزوة بدر ثم أُطلق سراحه كما ذكر ابن الأثير ذلك. راجع: علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير)، **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص ١٢٨) .

[٤] يسوق ابن الرومي شعره في غرض الرثاء من أوّل القصيدة إلى البيت السابع وفي البيت الثامن يشير ضمناً إلى مسألة أسر العبّاس بن عبد المطلب وإطلاق سراحه في غزوة بدر بغرض الهجاء الضمني ثم يعود ويستمر في الرثاء كغرض أصلي لتلك القطعة، راجع البيت الثامن من هذه القصيدة في: أحمد حسن بَسَج، **ديوان ابن الرّومي**، ج ٢، ص ١٦٣.

[٥] يستمر دعبل الخزاعي من أول القصيدة إلى البيت العاشر في غرض المدح والتشوّق إلا أنّه في البيت الحادي عشر يشير فجأة إلى معلومة تاريخية ترتبط بمقتل الإمام الحسين عليه السلام بواسطة جيش عبيد الله بن زياد (٣٣ – ٦٧هـ) وبهذا يجعل من الذم والهجاء غرضاً ثانوياً لتلك الأبيات. راجع البيت ١١ من هذه القصيدة في: حسن حمد، **ديوان دعبل بن علي الخزاعي**، ص ١٤٤.

التاريخية، أمّا **وجه الافتراق** بينها يرجع إلى نوع الأغراض الأصلية التي يخرج منها الشاعر إلى الهجاء الضمني. **مضامين** هذا النوع من الهجاء في حوليات الشاعر تتكون من مجموعة من المعلومات التاريخية التي يوظفها بغرض الهجاء الضمني الموجّه نحو بني أمية وقد ورد في حولياته ٢٢ بيتاً يحتوي على هذا النمط موزعاً على ٩ قصائد.

ب. الهجاء السياسي المباشر بتوظيف القضايا التاريخية

في قبال ما أُشير إليه من توظيف القضايا التاريخية للهجاء بالشكل الضمني، هناك موارد متعددة من توظيف القضايا التاريخية بالشكل المباشر في حوليات الشاعر، وذلك **باستخدامها في مقاطع شعرية يكون الغرض الأول فيها الهجاء**. على سبيل المثال استخدم الشاعر نفس المعلومة التاريخية المرتبطة بمسألة منّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أهل مكة وأبي سفيان ومنْحِه الأمان، في قصيدة أخرى **ولكن بهدف الهجاء المباشر** مع ضمّ معلومة تاريخية أخرى إليها وهي قتل الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من أولاده بأمر من ينتمي إلى آل أبي سفيان (يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وأتباعه)، يقول:

وَقُلْ لِأَبِي سُفْيَانَ مَا أَنْتَ نَاقِمٌ؟! أَأَمْنُكَ يَوْمَ الفَتْحِ ذَنْبُ مُحَمَّدِ؟!

فَكَيْفَ جَزَيْتُمْ أَحْمَداً عَنْ صَنِيعِهِ بِسَفْكِ دَمِ الأَطْهَارْ مِنْ آلِ أَحْمَدِ[١]

كما نرى جمع الشاعر في البيتين بين شاهدٍ تاريخي من حسن تصرفات بني هاشم تجاه آل أبي سفيان، وشاهد تاريخي من سوء تصرفات آل أبي سفيان تجاه بني هاشم لكي يصوّر لنا أنهم أناس **"يقابلون الإحسان بالإساءة"** ويجعل ذلك وسيلة لذمّهم والحطّ من شأنهم وفي الواقع نجد في هذا النوع من الهجاء **توظيفاً حِجاجيّاً** للمعلومات التاريخية حيث يبيّن للمخاطب أنّ المهجوّ **يستحقّ الهجاء والذّم حقيقتةً** لِما قام بها فعلاً من أعمالٍ سيئة سجلّها التاريخ. لا يقتصر شواهد هذا النمط بهذين البيتين والمعلومة التاريخة التي أشرنا إليها، بل هناك شواهد متعددة له في حوليات الشاعر استخدم فيها طوائف متنوعة من المعلومات التاريخة وبالأخص ما يرتبط منها بالأحداث الواقعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسألة الخلافة وما يتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيته عليهم السلام وأقواله فيهم[٢].

---

[١] علي الخاقاني، **ديوان السيد حيدر الحلي**، ج ١، ص ٧١.

[٢] راجع مثلاً البيت: ١١ إلى البيت: ٢٢ من القصيدة الثالثة في قسم: «مراثي آل البيت» في ديوان الشاعر، فقد أشار إلى قصة المباهلة وبعض أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مدح الإمام علي عليه السلام مما ورد في كتب السير

يميل أسلوب الشاعر في هذا النمط إلى كثرة استخدام **الجمل الاستفهامية** وذلك عن طريق سرد المشهورات التاريخة التي تشير إلى ما يشين المهجوّ على شكل جمل استفهامية، كما نلاحظ ذلك في البيتين الذين مرّ ذكرهما فقد أشار إلى منّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبي سفيان والتغاضي عن جرائمه عند فتح مكة على شكل **استفهام تقريري** يهدف إلى أخذ الاعتراف بصدور هذا السفح الجميل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي نفس الوقت يكون هذا الاستفهام **استفهاماً توبيخياً** يهدف إلى مؤاخذة آل أبي سفيان في عدم مراعاتهم حُسنَ الرد لهذا التصرف الجميل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث أقدموا على قتل ذريته، ففي هذين البيتين نجد ثلاث جمل استفهامية استخدمها الشاعر بغرض الهجاء وفي باقي حولياته أيضاً يمكن مشاهدة مجموعة من هذه الجمل الاستفهامية المستخدمة بهذا الغرض[١] وفي الواقع تتضمن هذه الاستفهامات سلسلة من الاستدلالات المبنيّة على القضايا التاريخية في ذم بني أمية أو مناوئي أهل البيت عليهم السلام بشكل عام مما يجعل المخاطب يقتنع بأنّ المهجوّ يستحق الذم والتحقير، كما يضفي الشاعر بهذه الطريقة على شعره صبغة حِجاجية في الدفاع عن موقفه الساخط تجاه المهجوّين. وصل عدد أبيات هذا النمط إلى **٣٢** بيتاً موزعاً على **٩** قصائد، مما يؤيد انتشاره بشكل أوسع بالقياس مع باقي الأنماط والرسم البياني الآتي يبين ذلك بالأرقام:

الرسم البياني (١): أنماط الهجاء السياسي وعدد أبياتها ونسبة انتشارها في الحوليات.

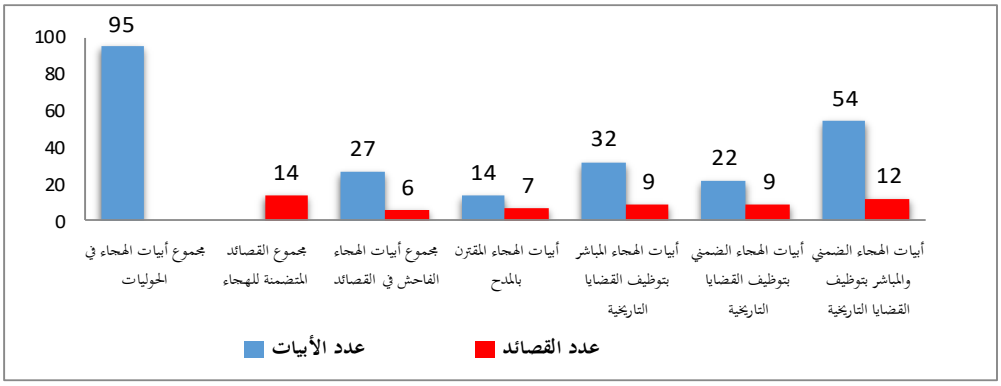

وجعلها وسيلة لذم مناوئيه. راجع: **نفس المصدر**، ص ٥٩.

[١] انظر مثلاً القصيدة الثالثة من حوليات الشاعر فقد أشار فيها إلى مجموعة من القضايا التاريخية بغرض الهجاء على شكل جمل استفهامية. راجع: **نفس المصدر**، صص ٥٨ – ٦٢.

سبب إكثار الشاعر من الهجاء بتوظيف القضايا التاريخية

تبيّن في المحور السابق، أنّ معظم الهجاء السياسي في الحوليات يأتي بتوظيف القضايا التاريخية (بشكليه الضمني والمباشر)، حيث تُشكّل نسبة هذا النمط من الهجاء ما يعادل: **٥٧ %** من مجموع أبيات الهجاء فيها وذلك في **٥٤** بيتاً موزعاً على **١٢** قصيدة، وإذا ما قارنّا هذه النسبة مع النسبة المنخفضة للهجاء السياسي الفاحش (٢٧ بيتاً في ٦ قصائد = **٢٨ %**) أو نسبة الهجاء المقترن بالمدح (١٤ بيتاً في ٧ قصائد = **١٥ %**) يتجلّى بوضوح أنّ الشاعر يميل أكثر إلى استخدام هذا النمط بشكل ملحوظ، ومن هنا يأتي السؤال عن سبب هذا الميل ورغبة الشاعر عن الهجاء السياسي الفاحش؟ للإجابة عن هذا السؤال ندرس الاحتمالات الواردة في المقام وهي كالآتي:

١. تفادي الضغوط الاجتماعية

قد يقال إنّ الشاعر إنما ابتعد عن الهجاء السياسي الفاحش ومال إلى الهجاء بتوظيف القضايا التاريخية، لأنه ربما كان يلاقي ضغوطاً اجتماعية إذا ما تناول بني أمية بالهجاء الفاحش، إلا أنّ هذا الاحتمال لا يمكن الركون إليه إذا ما علمنا أنّه كان يعيش في مدينة الحلة العراقية[١] وهي كانت ولا تزال من الحواضر الشيعية المعروفة في العراق وبالتالي كانت الأرضيّة الاجتماعية مؤهلة لتلقي الهجاء السياسي الفاحش تجاه بني أمية، ولذلك وجدناه قد وجّه هجاءً فاحشاً مرّاً لاذعاً وسافراً في مُستهلّ إحدى أشهر حولياته وفي أبيات متتالية وقد ذكرنا بعضها عند الحديث عن الهجاء السياسي الفاحش في حولياته، فقد شتم بني أمية في تلك القصيدة شتماً صريحاً وبأبشع الكلمات ونال من عرضهم بأبشع الأساليب ووصفهم بأقبح الصفات ورماهم بالذلة وحقارة النسب وقلة الحياء والفجور ولم يترك في هذا المجال كبيرهم ولا صغيرهم بل تناول حتى النساء فرماهنّ بأقبح الأمور ومع ذلك لم نجد في تاريخ الشاعر ما يشير إلى تعرّضه لضغوط اجتماعية من قِبل أهل بلدته، أضف إلى ذلك أنّ بعض معاصريه من أبناء بلدته أيضاً كانوا ينالون من بني أمية في أشعارهم على طريقة الهجاء السياسي الفاحش، منهم السيد جعفر الحلي (١٢٧٧ – ١٣١٥هـ) الذي هجا يزيد بن معاوية ومعاوية بن أبي سفيان هجاء فاحشاً مرّاً في قصيدةٍ

[١] وُلد الشاعر في مدينة الحلة في ١٥ من شعبان سنة ١٢٤٦هـ وتوفي فيها في ٩ من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠٤هـ. راجع: أحلام فاضل عبود، **السيد حيدر الحلي حياته وأدبه**، صص ٣٣ و١٢٦.

أصبحت من القصائد المشهورة في هذا المجال[١] ولم يتعرض إلى ضغظ اجتماعي بهذا السبب. إذن لا يمكن إرجاع تقليل الشاعر من الهجاء السياسي الفاحش وميله نحو الهجاء بتوظيف القضايا التاريخية إلى الخوف من الوسط الاجتماعي الذي كان يعيش فيه.

٢. الضغوط السياسية أو الخوف من الحكومة

لم يكن يتمتع العراق من الناحية السياسية في عهد الشاعر بأجواء مستقرة حيث إنّ حكّام العراق وقتئذٍ كانوا قد انشغلوا بثورة العشائر العراقية بعضها على بعض، وتمرّد بعض القبائل عن الانسياق بأوامر الحكومة، مما تحدّث عنه علي الوردي بشيء من الإسهاب كموضوع: "ثورة الفرات الأوسط[٢]" أو "الثورة ضد التجنيد الإجباري في بغداد[٣]" وغيرها من المسائل التي كانت تستقطب عناية الحكومة، فلم يكن من أهمّ اهتمامات الحكّام وقتئذٍ تتبّع ما يقوله الشعراء في ثنايا أشعارهم خصوصاً في المناطق النائية عن مركز حكمهم، ثم أحياناً تجد بعض الاستثناءات في حكّام العراق في تلك الفترة ممن كانوا يقرّبون الشعراء ويبجّلون العلماء وربما كان ذلك من أجل مصالحهم، فقد عاصر السيد حيدر الحلي "محمد شفيق" المشهور بـ:"مدحت باشا" (١٢٣٨ – ١٣٠١هـ)[٤] الذي اشتهر في التاريخ بنظرته الانفتاحية وخدماته الاجتماعية[٥] فقد وصفه علي الوردي بأنّه:«أعظم من سعى في تجديد الدولة العثمانية ودفعها في طريق الحضارة»[٦] وكان لتعاطفه مع العلماء والأدباء فترة ولايته على العراق يتلقّى المدح والثناء من بعضهم، **وقد**

---

[١] راجع البيت ٧ إلى ١٠ من قصيدته الكافيّة في: جعفر الحلي، **سحر بابل وسجع البلابل**، ص ٣٥٠.

[٢] راجع: علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ٢، صص ٢٤٢-٢٤٤

[٣] راجع: **نفس المصدر**، صص ٢٤٠ و٢٤١.

[٤] محمد شفيق (١٢٣٨-١٣٠١هـ) المشهور بـ: "مدحت باشا" أو "أحمد مدحت" عيّن والياً على بغداد (١٢٨٦-١٢٨٨هـ). راجع: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص ١٩٥.

[٥] راجع بعض إنجازاته كمكافحة الرشوة وتشييد مدينة الناصرية في العراق وإنشائه أول مدرسة وأول مطبعة وأول جريدة وأول مستشفى في بغداد، في: علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ٢، صص ٢٣٩ و٢٥١ و٢٦٢ و٢٦٣.

[٦] **نفس المصدر**، ج ٢، ص ٧٤.

مدحه السيد حيدر الحلي نظماً ونثراً[١] في مناسبة أورد ذكرها في كتابه: «**العقد المفصّل**»[٢]، كما له قصيدة مؤلّفة من ٢٦ بيتاً يمدحه بها أيضاً[٣]، ولا يقتصر مدحه للحكام بمدحت باشا بل مدح غيره من الحكوميين أيضاً[٤] وكل ذلك يدل على وجود حالة من حسن العلاقة المتبادلة بين الشاعر والجهات الحكومية ولو على مستوى الظاهر. لذلك لا يمكن إرجاع السبب في رغبة الشاعر عن الهجاء الفاحش السياسي وميله نحو الهجاء بتوظيف القضايا التاريخية إلى ضغوط سياسية أو الخوف من الحكومة، كما أنّه لو كان يخاف، لم يكن يقدم على نشر قصيدته الدالية التي تناول فيها بني أمية بأمرّ أنواع الهجاء السياسي الفاحش وقد سبق أن أشرنا إلى أبيات منها في ثنايا هذا البحث.

٣. مراعاة القيم الأخلاقية والالتزام الديني

لا شك أنّ حوليات الشاعر تندرج ضمن الشعر السياسي الشيعي، كما أنها تندرج أيضاً ضمن الشعر الديني الشيعي نظراً للمواضيع المطروقة فيها وكونها ترتبط بشخصية دينية كالإمام الحسين عليه السلام المناهض للحكم الأموي، فقداسة موضوع هذا الشعر وكونه مرتبطاً بشخصية دينية مقدسة، يدعو الشاعر إلى الالتزام بمراعاة القيم الأخلاقية والدينية عند تطرقه للهجاء وهذا الالتزام الواعي الذي ينتج عن اقتناع الشاعر بهذه القيم، يختلف عن مسألة "الإلزام" الذي يُرغَم الشاعر بسببه على اتباع طريقة خاصة في شعره، فكما بيّن ذلك أحمد أبو حاقة، هناك فرق بين مسألة "**الالتزام**" و"**الإلزام**"، حيث تبقى حرّية الاختيار والإرادة الواعية من دعائم الالتزام الممدوح[٥]، وهذا ما نجده عند السيد حيدر الحلي فقد سبق أن أشرنا مع ذكر بعض الشواهد، أنّ الشاعر لم يكن يعاني ضغوطاً اجتماعية أو سياسية في هجائه السياسي

---

[١] راجع مدحه له في: حيدر الحلي، **العقد المفصّل**، ج٢، ص ١٦٦.

[٢] هو كتاب أدبي لغوي ألّفه السيد حيدر الحلي، وقد جمع فيه مختارات أدبية في مختلف المواضيع مع بعض مراسلاته وأشعاره.

[٣] راجع: علي الخاقاني، **ديوان السيد حيدر الحلي**، ج ٢، صص ٤٦ و٤٧.

[٤] له قصيدة في مدح "محمد رشيد بن إبراهيم بابان" المشهور بمحمد باشا بابان (الحاكم الإداري في الحلة عام ١٢٩٦هـ)، راجع: **نفس المصدر**، صص ٢٦ و٢٧.

[٥] يقول أحمد أبو حاقة: «ينبغي دائماً التفريق بين الالتزام والإلزام. فالالتزام يقوم على حرية الاختيار، والإرادة الواعية، وعفويّة الشعور .... فالحرية شرط أساسي في اختيار الالتزام.» أحمد أبو حاقة، **الالتزام في الشعر العربي**، ص ٧٠٦.

الفاحش لبني أمية، ومع ذلك نجده يميل ميلاً واضحاً إلى اختيار الهجاء بتوظيف القضايا التاريخية كطريقة شائعة في أغلب أبيات الهجاء في حولياته، وهذا يدلّ على أنّه اختار هذه الطريقة طواعيةً بعيداً عن الضغوط، ذلك لأنّ هذا النمط من الهجاء أقرب إلى الالتزام بالقيم الأخلاقية والشرعيّة التي تناسب الشعر الديني الذي يدور حول نهضة شخصية مقدسة كالإمام الحسين عليه السلام، فالشاعر في هذا النمط من الهجاء **يتحرّى عنصر الصدق** في ما يعتمد عليها من معلومات تاريخية، ليتخذ منها مادةً للهجاء الصادق الخالي من المبالغة أو الكذب والافتراء أو تعميم الأوصاف الذميمة مما يبتعد عنه الهجاء السياسي الفاحش عادةً، وبهذه الطريقة يعطي لهجائه صبغة حِجاجية في إقناع المخاطب بأنّ المهجوّ يستحق الهجاء والتحقير حقيقةً بتقديم ما يؤيد هجاءَه من معطيات تاريخية تشير إلى قبائح أعمال المهجوّ، وبهذا يجعل شعره أكبر فاعلية في نفوس مخاطبيه وأقرب للصدق والإنصاف في أعينهم. على سبيل المثال لما يصف بني أميّة وأمراءهم بالاستهانة بالدين أو شرب الخمور أو معاداة أهل البيت عليهم السلام نجد أنّ هذه الأمور وصلت من الشهرة التاريخية إلى درجة أنها تُذكر في كتب السير المهمّة حتى عند من لا ينتمي إلى الشيعة بل يُعدّ من المتشدّدين عليهم كمحمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ – ٧٤٨هـ) في كتابه: «**سير أعلام النبلاء**»[١]، كما شمل كتاب: «**الكامل في التاريخ**» لابن الأثير (٥٥٥ – ٦٣٠هـ) الكثير من التفاصيل التاريخية التي وظّفها السيد حيدر الحلي لغرض الهجاء أو غيره من الأغراض الشعرية في حولياته،كالجرائم التي ارتكبها بنو أمية في حق الإمام الحسين عليه السلام، وقتله عطشاناً وسبي نسائه وأهل بيته، وحمل رأسه الشريف من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام و... فقد خصّص ابن الأثير فصلاً في كتابه لذكر مقتل الإمام الحسين عليه السلام وما يرتبط بواقعة الطّف ضمن أحداث سنة إحدى وستين وتكلّم بإسهاب عن هذه الأمور[٢]. على ضوء ما تقدّم يمكن القول إنّ ترجيح الشاعر لهذا النمط من الهجاء جاء

---

[١] أورد الذهبي في كتابه: «وعن محمد بن أحمد بن مسمع قال: سكر يزيد، فقام يرقص، فسقط على رأسه فانشق وبدا دماغه. قلت: كان... ناصبياً، فظاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر. افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين واختتمها بواقعة الحرة، فمقته الناس ولم يبارك في عمره» كما يدّعي أنّ له نظراء من الدولتين (يعني الأمويين والعباسيين)، بل فيهم من هو شرّ منه. راجع: محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٤، صص ٣٦ و٣٧ و٣٨.

[٢] راجع: علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير)، **الكامل في التاريخ**، ج٤، صص ٤٦ – ٩٤.

بسبب انسجامه مع القيم الأخلاقية والشرعية واتصافه بعنصر الصدق في نظر المخاطب العام واشتماله لوظيفة حِجاجية في إقناع المخاطب.

النتيجة:

١. تنقسم أنماط الهجاء السياسي في حوليات السيد حيدر الحلي إلى ثلاثة أقسامٍ هي: الهجاء السياسي الفاحش، الهجاء السياسي المقترن بالمدح، والهجاء السياسي (الضمني والمباشر) بتوظيف القضايا التاريخية.

٢. استخدم الشاعر "الهجاء السياسي المقترن بالمدح" لتشديد حالة التباين والوضوح بين مثالب المهجو ومحامد الممدوح بهدف المبالغة في تحقير المهجوّ.

٣. هناك وظيفة حِجاجية في بعض أبيات الهجاء المباشر بتوظيف القضايا التاريخية في إقناع المخاطب بأنّ المهجوّ يستحق الذم حقيقتاً، كما أنّ في الهجاء الضمني بتوظيف القضايا التاريخية يهدف الشاعر إلى إثارة غضب المخاطب تجاه المهجو إضافة إلى موضوع الهجاء.

٤. لم تكن أنماط الهجاء السياسي المستخدمة في الحوليات مما انفرد بها الشاعر بل سبقه إليها آخرون ولا سيما الهجاء السياسي الضمني فقد سبقه فيه شعراء كـ: ابن هاني الأندلسي وابن الرومي ودعبل الخزاعي، كما وسبقه في الهجاء السياسي المقترن بالمدح شعراء كدعبل الخزاعي وأبي فراس الحمداني.

٥. يميل أسلوب الشاعر البلاغي في الهجاء السياسي الفاحش نحو الإكثار من الجمل الإنشائية والخبرية الحاوية لضروب من المبالغة واستخدام الطباق والمقابلة وأحياناً الاقتباس من القرآن الكريم، فيما يميل أسلوبه في الهجاء السياسي المقترن بالمدح إلى الإكثار من صنعة الطباق، أمّا في الهجاء السياسي الضمني بتوظيف القضايا التاريخية فهو يميل نحو استخدام فن الاستطراد، كما أنّه يميل في الهجاء السياسي المباشر بتوظيف القضايا التاريخية نحو استخدام أنواع الجمل الاستفهامية بغرض الهجاء.

٦. تُشكّل أبيات «الهجاء السياسي بتوظيف القضايا التاريخية» بشكليه الضمني والمباشر النسبة الكبرى (٥٤ بيتاً في ١٢ قصيدة = **٥٧%**) بين مجموع أبيات الهجاء في هذه الحوليات(٩٥ بيتاً)، بينما لا تشكّل نسبة أبيات «الهجاء الهجاء السياسي الفاحش» فيها إلا **٢٨%** من مجموع الأبيات وذلك في ٢٧ بيتاً في ٦ قصائد.

٧. احتمال أن يكون السبب في ميل الشاعر نحو «الهجاء السياسي بتوظيف القضايا التاريخية » وتقليله من «الهجاء السياسي الفاحش»، هو الخوف من الوسط الاجتماعي أو الظروف السياسية المحيطة بالشاعر أو خوفه من الحكومة، احتمال مرفوض.

٨. يمكن القول إنّ االشاعر مال إلى استخدام «الهجاء السياسي بتوظيف القضايا التاريخية» بشكل أوسع لأنّ هذا الشكل من الهجاء ينسجم مع الالتزام بالقيم الأخلاقية والدينية،كما يتضمّن وظيفة حِجاجية في إقناع المخاطب بأنّ المهجوّ يستحق الذّم والتحقير حقيقتةً باستخدام المعلومات التاريخية التي تشير إلى مساوئ المهجوّ.

قائمة المصادر والمراجع:

أ– الكتب:

١. **القرآن الكريم**.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرَّم، **لسان العرب**، ط ١، بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٥م.

٣. أبو حاقة، أحمد، **الالتزام في الشعر العربيّ**، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

٤. إيرواني زاده، عبد الغني، و: طالبي، جمال، **دراسات في الهجاء السياسي عند شعراء الشيعة (دعبل الخزاعي، السيد الحميري، ديك الجن)**، الطبعة الأولى، قم (إيران): مجمع ذخائر إسلامي، ١٣٩٣ هـ. ش– ٢٠١٤م.

٥. بَسَج، أحمد حسن، **ديوان ابن الرّومي**، الطبعة الثالثة، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

٦. حاوي، إيليا، **فن الهجاء وتطوره عند العرب**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الثقافة، ١٩٩٨م.

٧. الحلي، جعفر، **سحر بابل وسجع البلابل**، د.ط، صيدا: مطبعة العرفان، ١٣٣١هـ.

٨. الحلي، حيدر، **العقد المفصّل**، ط١، قم (إيران): انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٧٩هـ. ش- ٢٠٠٠م.

٩. حمد، حسن، **ديوان دعبل بن علي الخزاعي**، الطبعة الأولى، بيروت لبنان: دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م.

١٠. الخاقاني، علي، **ديوان السيد حيدر الحلي**، الطبعة الرابعة، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٤م.

١١. الدهان، محمد سامي، **الهجاء**، الطبعة الثالثة، القاهرة، مصر: دار المعارف، د ت.

١٢. الدويهي، خليل، **ديوان أبي فراس الحمداني**، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م.

١٣. الذهبي، محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، الطبعة التاسعة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

١٤. الرواضية، صالح محمد، **زياد بن أبيه ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام**، الطبعة الأولى، الكرك (الأردن): جامعة مؤتة، ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م.

١٥. الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، الطبعة الخامسة عشرة، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

١٦. السّكّري، صنعة، **شعر الأخطل** (تحقيق فخر الدين قباوة)، الطبعة الرابعة، بيروت لبنان: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٦م.

١٧. الشيباني، علي بن محمد (ابن الأثير)، **الكامل في التاريخ**، د.ط، بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥م.

١٨. علي، زاهد، **تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي**، د.ط، مصر: مطبعة المعارف، ١٣٥٢هـ.

١٩. فاضل عبود، أحلام، **السيد حيدر الحلي حياته وأدبه**، ط١، بيروت: دار ومكتبة البصائر، ٢٠١٣م.

٢٠. الهاشمي، أحمد، **جواهر البلاغة**، الطبعة السادسة، قم إيران: مركز النشر، ١٤١٧ ق.

٢١. الوردي، علي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، د.ط، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧١م.

٢٢. يعقوب، إيميل وآخران، **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٢٣. اليعقوبي، محمد علي، **ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي**، الطبعة الأولى، قم إيران: انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٠هـ.

ب- المرجع الإنكليزي:

1. Crawley, Angela **, Oxford Elementary Learner`s Dictionary**, Tehran: Honarvar, 13 th edition. 2009. (offset printing)

ج- المقالات:

١. عزيز مسلم، فارس، **ديوان السيد حيدر الحلي أغراضه وفنونه**، مجلة مركز بابل، العدد ١، حزيران عام ٢٠١١م، صص ٤٣-٦٦.

د- المواقع الإلكترونيّة:

١. محمد الخباز، **النزعة الهجائية عند دعبل الخزاعي**، www.alwahamag.com، (١٣٩٥/٣/٣١ هـ ش = ٢٠١٦/٦/٢٠م).

٢. محمد فاروق سعيد محمد، **الهجاء في التراث العربي وعبرية العهد القديم**، أطروحة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ٢٠١٤م. (قسم المستخلص)، http://srv4.eulc.edu.eg (١٣٩٥/١٢/٧هـ ش= ٢٠١٧/٢/٢٥م).

هجاء سیاسی در حولیات سید حیدر حلّی

حیدر زهراب*، محمود خورسندی**، شاکر عامری***

چکیده:

ادب عربی از دیرباز شاهد گونه‌ای از شعر بنام هجاء بوده که در آن شاعر به زشت جلوه دادن شخصیت فرد یا گروهی می‌پردازد. رفته‌رفته دامنه این‌گونه از شعر به ادبیات سیاسی مانند آنچه که نزد شاعران حزب أموی از قبیل أخطل و مسکین دارمی و أحوص و همچنین شاعران شیعی کشیده شد که در طول تاریخ نمونه‌هایی از آن را نزد شعرایی مانند کمیت بن زید اسدی و سید اسماعیل حمیری و دعبل خزاعی می‌توان یافت. این مقاله با استفاده از شیوه وصفی تحلیلی و با تکیه‌بر داده‌های آماری به بررسی این‌گونه‌ی شعری در حولیات سید حیدر حلی می‌پردازد وسعی در معرفی انواع هجاء سیاسی بکار رفته در این حولیات دارد. همچنین به دنبال پاسخ این پرسش است که چرا شاعر تمایل بیشتری به استفاده از «هجاء مبتنی بر مطالب تاریخی» چه به‌طور مستقیم و یا به شکل ضمنی دارد. نتایج به‌دست‌آمده از این پژوهش گویای آن است که هجاء سیاسی به‌کاررفته در این حولیات به سه دسته: ۱- هجاء فاحش ۲- هجاء همراه با مدح ۳- هجاء بر اساس داده‌های تاریخی (به دو شکل مستقیم و ضمنی) تقسیم می‌شود و دلیل تمایل بیشتر شاعر به به‌کارگیری دسته سوم را می‌توان به کارکرد احتجاجی آن در راستای اقناع مخاطب با استفاده از داده‌های تاریخی و همچنین تناسب بیشتر این گونه از هجاء با اصول اخلاقی و دینی دانست.

کلیدواژه‌ها: حولیات سید حیدر حلی، هجاء، هجاء سیاسی، ادبیات شیعی.

---

* - دانشجوی دکتری، گروه زبان وادبیات عربی، دانشگاه سمنان، ایران.(نویسندهٔ مسؤول) HaydarZohrab@semnan.ac.ir

** - دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه سمنان، ایران.

*** - دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه سمنان، ایران.

تاریخ دریافت: ۱۳۹۵/۰۵/۲۳هش= ۲۰۱۶/۰۸/۱۳م تاریخ پذیرش: ۱۳۹۶/۱۰/۱۲ هش= ۲۰۱۸/۰۱/۰۲م

The Political Lampoons in the Satirical Poems of Seyyed Heidar Helli

Haydar Zohrab, Arabic Language and Literature Ph.D. Candidate, Semnan University. (Corresponding Author)

Mahmood Khorsandi, Associate Professor, Semnan University.

Shaker Ameri, Associate Professor, Semnan University.

Abstract

Arabic literature has long been blessed with a kind of poetry called lampoon in which the poet portrays ugly characteristics of an individual or a group. Gradually, the scope of this kind of poetry has been drawn to political literature, as in the works by the poets of the Umayyad Party, such as Akhtal and Meskin Daremi, and Ahwas, as well as Shiite poets. Some examples of this kind of poems can also be found in the poems of such poets as Komeit bin Zaid Asadi, Seyed Ismail Hemyari, and Da'bal Khazaee. This paper uses a descriptive method based on statistical data to study this kind of poetry in the satirical poems of Seyed Heidar Helli and seeks to introduce the various political lampoons used in this kind of poetry. It also tries to answer the question of why the poet is more inclined to use the "history-based lampoons" either directly or implicitly. The results of this study suggest that the political lampoons used in these satirical poem, either the direct or the indirect ones, can be divided into three categories: 1. Exaggerated lampoons, 2. lampoons laced with praise, and 3. History-based lampoons, the reason for the poet's desire to prefer the third category being its persuasive function because of its resort to historical data as well as the harmony of this type of lampoons to ethical and religious principles.

Key words: the year composed poems of Seyed Heidar Helli, lampoon, political lampoon, Shiite literature.